تفسير لغوى مقترح
لبعض آيات من سورة يوسف
في ضوء الصلات اللغوية القديمة

د . صفاء بغدادى سليمان
كلية البنات - جامعة عين شمس

ذهب المفسرون [١] القدامى - وهم بصدد تفسير القرآن الكريم ، ويهمنا هنا سورة يوسف - إلى المعاني الواردة في المعاجم ، وكتب اللغة ، وفي الاستعمال اللغوى في العربية ، كما هو متوقع ومتبع ، وإلى اجتهاداتهم حسب المنهج الذى يسلكه المفسر ويرتضيه ، وتبعا لذلك تعددت اتجاهات المفسرين ومناهجهم ، واختلفت درجة المبالغة فيما بينهم .

وقد أكدت بحوث ومعاجم حديثة وجود صلات لغوية عريقة بين اللغة العربية وغيرها من اللغات المجاورة في العصور المتعاقبة ، ويهمنا هنا زمن يوسف عليه السلام ، حيث دخلت اللغة العربية كلمات من اللغة المصرية القديمة ، وصارت من معجمها اللغوى أو على أقل تقدير - تشابهت اللغتان في معنى لفظ ما أو في أصواته أو اشتقاقه ، وتلك ظاهرة تفتقر إليها التوراة ، نذكرها في مقام الرد على زعم الزاعمين بتأثر القرآن الكريم بالتوراة في مثال هو قصة يوسف ، حيث وردت في السورة كلمات ذات أصول مصرية قديمة ، أو على الأقل متشابهة معها ، إذ أثرت المصرية القديمة في لغات كثير من الشعوب المعاصرة والمجاورة ، على نحو ما ذكر عبد الحميد زايد في بحثه (نظرات عابرة في العلاقات بين لغات الشرق الأدنى القديم) [٢] وما كتبه محمد بكر في (صفحات مشرقة من تاريخ مصر القديم) [٣] ، وما قام به المختصون - من علماء المصريات القديمة حديثا - من إحصاء عدد كبير من الألفاظ وردت في آيات من سورة يوسف ، وهى كلمات شهدت اجتهادات شتى من مفسرى القرآن الكريم في تفاسيرهم ، وتأويلاتهم ، وربما جنح بعضهم إلى مبالغات وتأويلات محل نظر وجدل ، بل ربما جنحت بهم تلك

المبالغات إلى ألوان من الإسرائيليات قال بها بعضهم ، وردّها آخرون ، وربما لا يقبلها منطق ، ولا تؤيدها حجة ، وتتنافى مع عصمة الأنبياء والرسل ، عليهم السلام ، قال تعالى : "ولقد راودتُه عن نفسه فاستعصم" - ٣٢ يوسف ، أى طلب العصمة ، وامتنع عن الفاحشة ، وتعنى كلمة العصمة : الحفظ والمنع .

وربما كان الرجوع إلى معنى الكلمة في اللغة المصرية القديمة ، باتفاقها مع إشارات المعاجم العربية أكثر وفاء في الإبانة عن مضمون النص القرآنى على نحو لا يدع مجالا لتلك المبالغات أو الإسرائيليات ، تلك التى حفلت بها بعض التفاسير .

تتسم سورة يوسف بسمة فريدة ، إذ تتحدث السورة عن يوسف - عليه السلام- أى عن نبى واحد في سورة كاملة ، خصصت للحديث عنه ، ضمن عدد كبير من الشخصيات منذ مطلع السورة ، وعلى وجه التحديد منذ الآية الرابعة: "إذا قال يوسف لأبيه يا أبت إنى رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين" - الآية ٤ ، يوسف القريب إلى قلب أبيه ، ثم إخوته الذين يكيدون له ، ويتخذون مواقف عدوانية قاسية معه ، على رأسها إلقاؤه في الجب ، ثم التقاط بعض السيارة له ، وبيعه لمصرى ، يفرح به هو وزوجته : "أكرمى مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا" - ٢١ يوسف ، ثم لا تلبث المرأة أن تشغف به حبا ، ثم يتطور هذا الشغف فتراوده عن نفسه فيردها بصرامة وحزم يليقان بالأنبياء ، إذ رأى برهان ربه ، واستعصم ، ويفر منها ، حتى يكون الدليل على نفوره منها أن تقد ثوبه من دبر لا من قبل ، ويشهد الشاهد ببراءته ، ثم يسجن بضع سنين ، وتظهر دعوته لعبادة الله الواحد وعلمه وحكمته وتأويله الأحلام ، حتى يستخلصه الملك لنفسه ، فيدير شئون الاقتصاد في البلاد ، ثم يلتقى بإخوته ثم بأبيه ، وتنتهى القصة بمثل ما بدأت به ، حيث تتحقق رؤياه ، تلك التى وردت في مطلع القصة والسورة منذ الآية الرابعة ، وذلك في الآية المائة : "ورفع أبويه على العرش وخروا له سجدا وقال يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربى حقا" - الآية ١٠٠ .

قصة نبى بدأت منذ مرحلة طفولته حتى صار يافعا ناضجا ، بما فيها من أحداث ومواقف ، وأشخاص ونماذج ، وسنوات وسنوات ، بادئة بصيغة الخطاب

المسرود : "نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت من قبله لمن الغافلين" - ٣ يوسف ، إيذانا بالإخبار عن غيب مجهول وغير معلوم للنبى ﷺ ، ولمن معه ، ثم تتوالى فقرات القص ، أو الإخبار ، أو الإنباء :

١-رؤيا يوسف (الآيات ٤-٦) .

٢-حسد إخوته (٧-١٨) .

٣-يوسف عند عزيز مصر (١٩-٢٢) .

٤-محنة المراودة (٢٣-٣٤) .

٥-يوسف في السجن (٣٥-٤٩) .

٦-براءة يوسف والتمكين له (٥٠-٥٧) .

٧-قدوم إخوته إليه ، واجتماعه بأخيه (٥٨-٨٣) .

٨-الالتقاء بالأبوين ، ورفعهما على العرش ، وتأويل الرؤيا (٩٩-١٠٠).

وذلك كله في سورة واحدة ، لا في سور متعددة ، على العكس مما حدث في قصص في سور أخرى عن سائر الأنبياء حيث توزعت أقاصيصهم ، وأخبارهم في سور عديدة ، ، تكررت بمعنى واحد في وجوه مختلفة ، بألفاظ متباينة على درجات البلاغة ، لا في سورة واحدة ، كما هو الحال هنا . أما قصة يوسف فوردت - في هذه السورة - جملة واحدة في سورة تحمل اسمه دون توزع أو تكرار ، فلم يقدر مخالف على معارضة ما تكرر ، ولا على معارضة غير المتكرر ، والإعجاز لمن تأمل" ، كما قال القرطبى - بحق - (مج٤ ، ص ٣٤٣٩) ، مع إشارات إلى اسمه في جزء من آية في سورة الأنعام - ٨٤) : "ومن ذريته داوود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزى المحسنين" ، وإلى نبوته في آية كاملة على لسان رجل يكتم إيمانه زمن موسى وفرعون في سورة غافر -٣٤ : "ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات فما زلتم في شك مما جاءكم به حتى إذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب" ، وهكذا تنفرد سورة يوسف- كاملة - بالحديث عن نبى واحد في مراحل متعددة من حياته

في بيئات شتى ، كما تتحدث عن بيئة تاريخية ، متعددة الوجوه ، جـرت أحـداث القصة بها ، قبل زمن موسى وفرعون ، في فلسطين ومصر ، وهنا يبرز المكـان القصصي للعرب الذى هو استحضار موجز للمكان الواقعى في تاريخ قديم ، وبيئـة قديمة لها وجودها التاريخى لا الخيالى : فقد كانت شبه الجزيـرة العربيـة ميـلاد الرسالات السماوية ، وكما كانت مهدا لها ، كان من بين الأنبياء خمسة عرب هم : محمد وإسماعيل ، وشعيب ، وصالح ، وهود ، وقد سبقت السورة - التى تحمل اسم (هود) - سورة يوسف في ترتيب المصحف ، وهؤلاء الأنبياء كانوا يسكنون بـلاد العرب ، كان شعيب وقومه بأرض مدين ، وكان صالح وقومه بثمود ، وكان هـود وقومه بالأحقاف من رمال اليمن ، وكان إسماعيل ، ثم كان محمد مـن سكـان الحـرم المكى الشريف ، وذكرت النصوص المصرية القديمـة كلمـة "أرب ، أو آرف" ، وهى كلمة كانت معروفة عند الآشوريين ، وسمـوا الطائيين في عصـر متأخر عند الآراميين ، ويذكر المستشرقون وعلماء التوراة أن أقدم نص وردت فيه كلمة العرب هو نص آشورى من أيام الملك "شلمنصر الثالث" ملك آشور ، ويشـير جواد على (الفيصل في تاريخ العرب ، ٣٢/١) إلى وجودها في الكتابات البابليـة باسم "ماتوربي" ، أى أرض العرب ، وبالرجوع إلى أقدم نص ديني ، وهو التـوراة أو العهد القديم أو العتيق نجد كلمة الأعراب بمعنى عرب وعربيم ، كذلك ما نجـده في تاريخ المؤرخين من اليونان والرومان والمؤلفة بعد "هيرودوتس" شاملة الباديـة وجزيرة العرب وطور سيناء من بدو وحضر ، وسمى المصريون القدمـاء بـلاد العرب بأرض الله ، ومعلوم لدينا جميعا اسم يعرب بن قحطان أبى العرب اليمانية ، وهو اسم ضارب في تاريخ الجاهلية ، وبه كـانت التسـمية ، فـي رأي ، أو أن التسمية نسبة لعربة من تهامة منشأ أولاد إسـماعيل ، أو نسـبة لبلـد (عربـات) (الأزهرى ، وتاج العروس)، وكانت قريش أوسط العرب دارا وأحسـنهم جـوارا وأعربهم لسانا ، كما قال أبو بكر الصديق (رض) ، وبلغتهم نزل القرآن الكريـم ، ويذكر القرآن الكريم قوم ثمود ، وهم قبيلة عربية سكنت الحجر بين الحجاز والشام إلى وادى القرى ، وقد عمرت بعد عاد : "واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعـد عـاد وبوأكم الأرض تتخذون من سهولها قصورا وتنحتون الجبال بيوتا فـاذكروا آلاء الله

ولا تعثوا في الأرض مفسدين" - الأعراف ٧٤ ، " ألم تر كيف فعل ربك بعاد • إرم ذات العماد • التى لم يخلق مثلها في البلاد" - الفجر ٦ ، ٧ ، ٨ ، وقد تعرضت شبه جزيرة العرب لهجرات القبائل ابتداء من الألف الثانية قبل الميلاد ، وبقى من بقى وهاجر من هاجر : هاجر الأكاديون في الألف الرابعة قبل الميلاد إلى ما بين النهرين ، وهاجر الكنعانيون في الألف الثالثة إلى الشمال الغربى ، وفي الألف الثانية هاجر الآراميون إلى شمال الجزيرة ، وكشف الباحثون الأثريون عن آلاف النقوش في المنطقة الواسعة الممتدة من وسط الجزيرة إلى الصفاة في الشرق والجنوب من حوران ، وقد توصل العلماء في الربع الثانى من القرن العشرين إلى تقسيم هذه النقوش إلى ثلاث مجموعات ، أقدمها المجموعة المسماة "الثمودية" في : حائل ، والطائف ، وتيماء ، ومدائن صالح ، وقد ورد اسم الثموديين في نقوش الملك "سرجوي الآشورى" سنة ٧١٥ ق٠م ، والمجموعة الثانية ، وهى "الصفوية" في منطقة الصفاة في جنوب شرق دمشق ، والثالثة : "اللحيانية" وهي في شمالى الحجاز ومدائن صالح وخشم وجبلة وتيماء • احتفظت المجموعة الأولى بكلمات وصيغ عربية كثيرة وكذلك الحال بالنسبة للنقوش اللحيانية ، صحيح أن أصول الكلمات في تلك النقوش ، تختلف عن العربية التى نزل بها القرآن إلا في القليل ، وما كان ذلك إلا بسبب اختلاف اللهجات ، غير أن الأصول مشتركة في كل ، وهذا هو سر مقولة أبى عمرو بن العلاء : "وما لسان حمير وأقاصي اليمن بلساننا ولا عربيتهم بعربيتنا" - (طبقات الشعراء لابن سلام الجمحى ، ص ٨) ، وهو الأمر الذى شهد خلافا في التأويل بين طه حسين من ناحية ومعارضيه : أحمد رضا العاملي ، ومحمد الخضر حسين ، وأحمد الحوفي ، وأمثالهم ، من ناحية أخرى فيما لا نخوض في تفصيله هنا (بالترتيب : الأدب الجاهلى ، ص ٦٥ ، ومولد اللغة ، ص ٥٦ ونقض الشعر الجاهلي ، ص ٧٤ ، والحياة العربية من الشعر الجاهلى ، ٤١/١) ، وانظر القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية ، عبد العال سالم مكرم ، ٣٣٤ - ولتفصيل هذه القضايا : "البحوث والمحاضرات" مؤتمر ١٩٦١ - ١٩٦٢ ، ص ٢٦٣-٢٦٥ ، مجمع اللغة العربية ، القاهرة ، وبحث الدلالة التاريخية واللغوية لكلمة عرب ، عبد العال سالم

مكرم : (بحوث في اللغة والأدب ، مجموعة ، جامعة الكويت ، ط١ ، ١٩٨٧ ص ٣٥ وما بعدها) ، هكذا كانت العرب : البائدة والعاربة ، أما العرب الذين انقرضوا إلا بقايا متفرقين فهم سبع قبائل : عاد وثمود وعميق وطسم ، وجديس ، وأميم ، وجاسم • كانت بلاد العرب – التي هى مهد الساميين – تمتد في الجنوب الغربي من آسيا ، ويحدها الخليج العربى وبحر عمان شرقا ، والمحيط الهندى جنوبا ، والبحر الأحمر غربا ، وبادية الشام شمالا • ويبدأ حدها الشمالى بغزة الواقعة على شاطئ البحر الأبيض المتوسط الشرقى ، ويمر جنوب البحر الميت حتى شرقى الأردن ، ثم يمر من دمشق إلى الفرات متتبعا مجراه لينتهى عند الخليج العربى ، وفي العصر الثالث فصلت بلاد العرب عن شمالى إفريقيا بظهور البحر الأحمر ، وتتألف بلاد الحجر من جزيرة طور سينا الممتدة من حدود فلسطين إلى البحر الأحمر ، أما بلاد العرب الصحراوية فهى البادية الكبرى التى تمتد من حدود سورية والعراق إلى المحيط الهندى محاذية الخليج العربى ، أما بلاد العرب السعيدة فتشمل : نجدًا واليمن وعمان ، ويقع الحجاز في جنوبى جزيرة سيناء ممتدا على طول البحر الأحمر من العقبة إلى اليمن ، وقد ظهر الإسلام في الجزيرة العربية ، ثم انتشر خارجها (٤) في محاور منها المحور الشمالى الذى ينقسم إلى قسمين أحدهما يتجه غربا إلى مصر ، والثاني يتابع السير إلى الشمال ، وفي ذلك نجد وادى النيل ، ودورات النماء والخصب والجدب والقحط فيه ، وتبادل حالتى : الغنى والترف وجريان النهر الكبير ، نهر النيل من ناحية ، والفقر والفاقة من ناحية أخرى ، وشبه جزيرة سيناء بتراثها وثرائها ، وهنا – أيضا – نجد التحديد المكاني في سورة يوسف بما فيه من أحداث تتضمن شراء عزيز مصر له من القافلة التى التقطته من الجب ، كما تتضمن إغراء امرأة العزيز له ، وسجنه ، وتفسيره الأحلام ، وإخراجه من السجن ، ومثوله أمام ملك مصر واصطفاءه أمينا على خزائن الأرض ، ثم اللقاء مع إخوته ، والتعرف عليهم ، ثم الالتقاء بأبويه ، ورفعهما على عرش مصر •• إلخ ما هنالك من أحداث •

وقد استخدمت سور من القرآن بعض مفردات من بيئة أصحابها ، وكان ذلك دليلا آخر على صدق الأحداث المروية في قصص القرآن بالرغم من تباعد أماكنها

وأزمانها ، وكانت سورة يوسف من أكثر سور القرآن تحقيقا لهذه الظاهرة ، وبالرجوع إلى معانى هذه الكلمات في المعاجم المختصة باللغة المصرية القديمة ، نجد أن ما ذهب إليه بعض المفسرين في تفسير بعض الكلمات ، ومن ثم بعض الآيات ، قد يكون غير واف ، ولن نبالغ ونقول : غير دقيق • بل نجزم بتسرب بعض الإسرائيليات إليه •

ومن ناحية ثانية نجد أن وجود هذه الظاهرة اللغوية قد يساعد في تفسير بعض الألفاظ على نحو يخرج الاعتماد على الإسرائيليات من التفسير ويريحنا منها ، كما أنه يدحض ادعاء بعض المستشرقين اعتماد القرآن الكريم في قصصه على التوراة والإنجيل (جولد تسيهر ، العقيدة والشريعة في الإسلام) [٥] ، كما يرد زعم من زعموا أن أخبار القصص القرآنى مطابقة لما في الكتب السابقة ، أو لما يعرفه أهل الكتاب من أخبار [٦] أو أنه يوجد تشابه بين القرآن والكتاب المقدس (التوراة والإنجيل) [٧] ، وأنه يتفق معهما جملة وتفصيلا ، كما ذهب مالك بن نبى [٨] ، وتابعه محمد سعيد البوطى [٩] ذلك أن الرسول ﷺ لم يغادر مكة إلا في رحلة بمصاحبة عمه ، وهي رحلة غير مؤكدة ، كان فيها في التاسعة من عمره ، وأخرى ، وهو في الخامسة والعشرين من عمره ، في فترة قصيرة ، كما أن النبى ﷺ نشأ أُمِّيًّا لا يقرأ ولا يكتب ، بين قوم أميين لا يقرأون ولا يكتبون ، ولم يكن له من معلم غير الله ، فكيف يتلقى ما زعموه ؟ ، كما أنه لم يكن بمكة أو ضواحيها أى مركز ثقافى ديني ينشر فكرة الكتاب المقدس ، كما أنه لم توجد ترجمة للكتاب المقدس آنذاك ، وأهم من ذلك تلك الخلافات الجوهرية بين القرآن والكتاب المقدس في أمور منها : الألوهية ، والتثليث •• إلخ ، كما أن القرآن الكريم يختلف اختلافا جوهريا مع كثير من التوراة [١٠] •

يضاف إلى ذلك أن تأملنا لجانب من سورة يوسف في القرآن والتوراة ، يهدينا إلى أن ألفاظ البيئة والعصر وجدت في القرآن الكريم أكثر مما وجدت في التوراة وعلى سبيل المثال : نجد الآية الكريمة التى وردت فيها "غيابة الجب" في القرآن يقابلها في التوراة : "نقتله ونطرحه في بعض الآبار" ، أو "البئر التى في

البرية" ، أو "اطرحوه في البئر" أو "وكانت البئر فارغة لا ماء فيها" ، وهكذا انفرد القرآن بذكر الكلمة المصرية القديمة التى دخلت العربية ، وصارت من نسيجها أو على الأقل تشابهت واتفقت معها بينما خلت منها التوراة ٠

ومثال آخر على ذلك : كلمة : "الذئب" في القصة القرآنية يقابلها في النص التوراتى : "وحش ضار" ، وليس الذئب ، فإذا ما رجعنا إلى أصل الكلمة في المصرية القديمة وجدنا في قاموس بدوى – ص ١٩٩ (ساب : اسم مفرد مذكر "ضرب من الذئب) ، بينما وردت كلمة القميص في النصين : القرآنى والتوراتى ، وهذا ما يؤكد عدم اعتماد القرآن على القصة التوراتية ، بل يؤكد ، أيضا ، الإعجاز القرآنى البيانى اللغوى ، إذ ينفرد به القرآن صدقا ودقة ومطابقة للواقع التاريخى ، حيث يروى اللفظة كما كانت تروى في السياق اللغوى في زمانها البعيد في اللغة العربية القديمة التى استوعبت بعض ألفاظ المصرية القديمة ، كغيرها من اللغات ، أو على الأقل تشابهت واتفقت معها في أقل تقدير ، (وانظر ، كذاك ، في دراسات تاريخية عن القرآن الكريم لمحمد بيومى مهران) ما يكفى ويشبع في مجال المقارنة بين قصة يوسف في التوراة والقرآن فليرجع إليها الراغب في التفصيل (١١) يضاف إلي ذلك كله ما هو معروف من أن هناك نسختين للتوراة عند اليهود ٠ واحدة منهما لليهود العبرانيين ، والنسخة الأخرى لليهود السامريين ، وكل من النسختين تختلف عن الأخرى في عدد أسفارها ، وفي ترتيب نصوصها ، وعند المسيحيين طبعتان للتوراة (العهد القديم) واحدة للكنائس البروتستانتية ، والأخرى للكنائس الكاثوليكية ، والأرثوذكسية الشرقية ، وهي أكثر عددا من الأولى ، بل إن أسماء الأسفار موضع خلاف فيها ، وكذلك ترتيبها ، فأى نسخة يريدها الزاعمون المدعون ؟ (١٢) ٠

قلنا إن هناك ألفاظا مصرية قديمة دخلت العربية ، أو تشابهت معها ، ووظفتها سورة يوسف في سياقها الملائم للقص ، وللغة ، من ذلك – على سبيل المثال – ما نجده في تفسير الأمثلة والشواهد الآتية :

- "غيابة الجب" في قوله تعالى (الآيتان رقم : ١٠ ، و١٥) ٠

- "كذب" في قوله تعالى : (الآية رقم ١٨) .
- بخس" في قوله تعالى : (الآية ٢٠) .
- "الذئب" في قوله تعالى : الآيتان رقم ١٣ ، ١٧ .
- "برهان" في قوله تعالى : (الآية رقم ٢٤) .
- "هيت" في قوله تعالى : (الآية رقم ٢٣) .
- "همت به وهم بها" في قوله تعالى : (الآية رقم ٢٤) .
- "راودته" في قوله تعالى : (الآية رقم ٢٣) .
- "قميصه" في قوله تعالى (الآية رقم ٢٥) .
- "أصب" في قوله تعالى : (الآية رقم ٣٣) .
- "أضغاث" في قوله تعالى : (الآية رقم ٤٤) .
- "شداد" في قوله تعالى : (الآية رقم ٤٨) .
- "حصحص" في قوله تعالى : (الآية ٥١) .
- "نمير" في قوله تعالى : (الآية ٦٥) .
- "صواع الملك" في قوله تعالى : (الآية رقم ٧٢) .
- "حرضا" في قوله تعالى (الآية رقم ٨٥) .
- "بثى" في قوله تعالى (الآية رقم ٨٦) .

ذكر أحمد بدوى في أول معجم صغير يوضع بالعربية معاني كثير من هذه المفردات والألفاظ في معجمه عن مفردات اللغة المصرية القديمة ، وقد شرح المفردات المأخوذة من المصرية القديمة للعربية ، أو المتشابهة معيا وترجمه للعربية والألمانية ، وأضاف إلى ذلك كيفية كتابة بعض المفردات بالقبطية أحيانا وبالعبرية أحيانا ، وتلك وجهة نظر بعض المفسرين [١٣] .

كما ذكر ذلك - أيضا - (المعجم الكبير) الذى أطلق عليه قاموس برلين الأم أو الشهير في برلين ، الذى ألفه "أدولف أرمان" بالألمانية ، فيما بين سنة ١٩٢٦ ، وسنة ١٩٣١ ، وهو المرجع الرئيسى لمفردات اللغة المصرية القديمة ويضم نحو عشرين ألف كلمة وتعبير واسم ، وذكر عبد العزيز صالح ما يقرب من مائتى كلمة مصرية قديمة حية في مفردات اللغة العربية الفصحى [١٤] .

ولا يقل أهمية عن ذلك البحث الجيد الذى كتبه رمضان السيد عن الألفاظ المصرية القديمة في سورة يوسف ، وعنوانه (أضواء جديدة على تفسير سورة يوسف) ، وجمع فيه ٥٥ لفظا بين فعل واسم وصفة في آيات السورة الكريمة ، ويوجد لها مقابل صوتى وصرفى ونحوى في اللغة المصرية القديمة ، ويذكر في دراسته أنه يقوم ببحث وحصر لأكثر من ٥٠٠ لفظ فصيح وعامى في اللغة العربية مأخوذ عن المصرية القديمة ، ويمكن - إلى ما تقدم - الرجوع إلى كتابات المؤرخين المختصين أمثال : عبد العزيز صالح الذى كتب عن الشرق الأدنى القديم ، ومحمد بيومى مهران ، وبحثه "العرب وعلاقاتهم الدولية في العصور القديمة" [١٥] .

والنتيجة المهمة التى نريد أن نصل إليها ، ذلك الوجه من الإعجاز ، وهو أنه من أين للرسول ﷺ معرفة هذا الكم غير القليل من ألفاظ اللغة المصرية القديمة التى وردت في سورة يوسف ؟ ، وقد أشرنا من قبل إلى زمن مغادرته مكة ، كما أنه قد عاش فيما بين القرنين السادس والسابع الميلاديين ، بينما كانت تلك الألفاظ - قبل ذلك بكثير - تعيش في عصر الفراعنة قبل الميلاد ؟ الأمر الذى دفع بـ" ألفرد جيوم" في كتابه عن الإسلام [١٦] ، إلى مجاراة الزعم السابق أن محمدًا ﷺ لم يكن يعرف قصة الآباء الأول - كما جاءت في سفر التكوين من التوراة - فحسب ، بل إنه يعرف كذلك التطور اليهودى المتأخر للقصة ، حيث تداخلت مصادر التوراة الثلاثة : (اليهودى ، والألوهى ، والكهنوتى) ، وكونت قصة لا تمثل واحدا من هذه المصادر ، وإنما تكون مزيجا عجيبا منها جميعا " وقد ناقشه مالك بن

نبي في (الظاهرة القرآنية) [١٧] ، كما رد عليه وعلى بعض المستشرقين وبعض المسلمين محمد بيومى مهران في "دراسات تاريخية عن القرآن الكريم" [١٨] .

أليس هذا إعجازا في ذاته ، وفي إطار الإعجاز القرآنى كله ؟

يضاف إلى ذلك مراعاة ترتيب السور ، وزمن نزول السورة ، حيث نزلت بعد سورة هود في المرحلة المكية ، وهى مرحلة من أشد مراحل الدعوة حرجا ، وأقساها على نفس النبى ﷺ ، حيث تتابعت الكوارث والمحن ، وعلى رأسها فقد الرسول نصيريْه وسنديْه وحبيبيْه : زوجه خديجة ، وعمه "أبا طالب" ، حتى سمّى العام (عام الحزن) ، وهكذا كان سرْد الشدائد "اليوسفية" تخفيفا وتثبيتا وشرحا لنماذج من ابتلاء الرسل ، وحسن مكافأتهم .

وقد اقترن بذكر ألفاظ دخلت العربية من المصرية القديمة ، أو تشابهت معها ما نجده في افتتاح سورة يوسف . بل في الآية الثانية منها بما يؤكد عربية القرآن ، وعربية القصة القرآنية ، واختتامها حول القصص القرآنى ، ذلك أن تلك الألفاظ دخلت اللغة العربية ، وصارت منها ، أو تشابهت معها ، قال تعالى : "إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون" - ٢ يوسف ، أى يقرأ يلغتكم يا معشر العرب ، وكان ذلك أول وصف يرد في سورة يوسف ، ولم يرد هذا الوصف في إحدى عشرة سورة سبقت هذه السورة في ترتيب المصحف ، و"قرآنا عربيا" أى منسوبا إلى العرب ، أى نزل بلسانكم أيها العرب ، وهو غير ذى عوج ، أى مستقيم ، وقد ترددت هذه الصفة في القرآن الكريم بمعنى الصفة العربية ، أى اللغة العربية ١١ مرة في : النحل ١٠٢ ، وفصلت ٣ ، و٤٤ ، ويوسف ٢ ، والرعد ٣٧ ، وطه ١١٣ ، والزمر ٢٨ والشورى ٧ ، والزخرف ٣ ، والأحقاف ١٢ ، وتكررت كلمة الأعراب ١٠ مرات ، وفي الجمهرة لابن دريد : العرب ضد العجم وكذلك العرب والعجم ، وفي اللسان : العرب : والعرب : جيل من الناس معروف خلاف العجم ، وحين نتأمل السور التى سبقت سورة يوسف في ترتيب المصحف ذاكرة كتاب الله - سبحانه وتعالى - سنجدها تصفه على النحو التالى :

"الم ، ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين" (١ و ٢ - البقرة) و "الم ، الله لا إلاه إلا هو الحى القيوم ، نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وأنزل التوراة والإنجيل" (١-٣ آل عمران) ، ولم تفتتح سور : النساء ، والمائدة ، والأنعام ، والأنفال ، والتوبة بمثل هذا الافتتاح ، و" المعى كتاب أنزل إليك فلا يكن في صدرك حرج منه لتنذر به وذكرى للمؤمنين" (١-٢ الأعراف) ، و"الر ، تلك آيات الكتاب الحكيم ، أكان للناس عجبا أن أوحينا إلى رجل منهم أن أنذر الناس وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم قال الكافرون إن هذا لساحر مبين" (١ و ٢ يونس) ، "الر ، كتاب أحكمت آياته ثم فصّلت من لدن حكيم خبير ، ألا تعبدوا إلا الله إننى لكم منه نذير وبشير" (١-٢ هود) ، حتى كانت سورة يوسف في مطلعها الذى يظهر الإبانة والوضوح إلى جانب الصفة العربية والقصص الإخباري الصادق : "الر ، تلك آيات الكتاب المبين ، إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون ، نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت من قبله لمن الغافلين" (١- ٣ يوسف) ٠

ومن تأمل تلك المطالع في السور التى سبقت سورة يوسف في الترتيب نجد أن ما ورد في افتتاحيات ما قبلها من سور كان التنويه فيه عن :

نفى الريب ، وإثبات : الهدى ، والحق ، والتصديق ، والإنذار ، والذكر ، والتبشير ، والإحكام ٠ بينما خلت المطالع في خمس سور من ذلك كله ، ذكرناها منذ قليل ، بينما جاءت سورة يوسف في الترتيب الثانى عشر حاملة - وحدها - صفة العربية ، متفقة مع سورتين قبلها هما : يونس وهُود في الافتتاح بالحروف : (الر) ، وثلاث بعدها هى : الرعد ، وإبراهيم ، والحجر ، فانفردت - بذلك - بذكر صفة العربية في صدارتها مقترنة بالإبانة التى هى من معانى الإعراب ومقترنة بالقص الذى هو الإخبار والإعلام والإنباء بما غاب عنا من أخبار الأمم والقرون السابقة ٠ بل إننا نلاحظ أن صفة العربية للقرآن الكريم ، وردت بعد ذلك في سورة أخرى ، لكنها وردت في غير المطلع ، أى خلا منها افتتاح السورة ، حيث نجد الآية الكريمة : "ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر

لسان الذى يلحدون إليه أعجمى وهذا لسان عربى مبين "في (النحل - ١٠٣) ، واللفظ في الشعراء - ١٩٥ ، أو صفة عربى في الآية الكريمة : "ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته أأعجمي وعربى قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى أولئك ينادون من مكان بعيد" في (فصلت - ٤٤) أو في الآية الكريمة : "أنزلناه قرآنا عربيا" في (طه ١١٣) ، والزمر - ٢٨ وفصلت - ٣ والشورى - ٧ ، والزخرف - ٣ و "لسان عربى" في قوله تعالى : "وهذا كتاب مصدق لسانا عربيا" - ١٢ الأحقاف ، وحكما عربيا في قوله تعالى : "وكذلك أنزلناه حكما عربيا" - ٣٧ - الرعد ٠ وفي ذلك كله لا نجد صفة "العربى" في مطلع السورة ، وإنما نجدها في ثنايا السورة باستثناء سور : فصلت ، والشورى ، والزخرف ، وحين بدأت سورة (ق) بالقرآن في الآية الأولى : "ق والقرآن المجيد" ، وصفت القرآن بالمجيد ، والرسول ﷺ بالمنذر ، لا بصفة العربية ، وذلك يؤكد بروز الصفة العربية للقرآن في مطلع سورة يوسف - والتصدير يعنى مزيدا من الاهتمام ، كما وردت كلمة (الكتاب) بمعنى القرآن الكريم سبعا وستين مرة للذكر ، أو لنفى الريب ، أو للتلاوة ، دون ذكر للصفة العربية أيضا ٠

هذه الصفة العربية في سورة يوسف تؤكد عربية اللغة التى شرفت بنزول القرآن بها ، والتأكيد عليها - بصفة خاصة في هذه السورة - يعنى أن لغتها عربية خالصة في : حروفها ، وأصواتها ، واشتقاقاتها ، ومن ناحية أخرى فإن لذلك دلالة مهمة تجعلنا مطمئنين إلى المعنى الكامن في المعاجم الخاصة بالمصرية القديمة وانصهارها فيها وفي نسيجها بما يؤكد معيشة تلك الألفاظ في العربية القديمة ، فقد تلت هذه الآية آية ثالثة في السورة ، هى : "نحن نقص عليك أحسن القصص" ٣ يوسف ، فاقترنت العربية بالقرآن ، كما اقترنت بالقصص الذى هو إخبار وإعلام وإنباء عن أخبار الأمم الغابرة لمن يجهلها ولا يعرفها ، والقص الهادف إلى أهداف سامية في تلك المرحلة الحرجة من حياة الدعوة والرسول ٠

ويلتقى مع ذلك ما نجده من الحس اللغوى الذى كان يسود فكر السلف من اللغويين والمفسرين العرب على حد سواء ، فكثيرا ما نجد إشاراتهم - لغويين ومفسرين - إلى كلمات عربية وردت في هذه السورة ، وفي غيرها ، بإرجاعها إلى أصول لغوية غير عربية مثلما نجد في حديثهم عن "هيت" في قوله تعالى :

"وراودته التى هو في بيتها عن نفسه وغلقت الأبواب وقالت هيت لك قال معاذ الله إنه ربى أحسن مثواى إنه لا يفلح الظالمون" ٢٣ يوسف .

يرى الطبرى أنها : الحورانية - أو القبطية - أو السريانية - ص ٣-٣٨ .

ويرى الرازى أنها : العبرانية (هيتالج) - أو الحورانية - ص ١١٣ .

ويرى ابن كثير أنها : الحورانية بمعنى : "هلم وقعت لأهل الحجاز بمعنى : تعال" ، وبذا قال الكسائى ، وأبو عبيدة بمعنى : اقترب ، أو تهيأت لك ، ويذكر ابن كثير : القبطية - أو السريانية ص ٧٣ .

ويذكر صاحب لسان العرب عن الأزهرى عن أبى زيد : بالعبرانية (هيتالج) ، أى تعال ، أعربه القرآن ، وعن الفراء : لغة أهل حوران سقطت إلى مكة فتكلموا بها ، وأهل المدينة يقرأون : بكسر ففتح للتاء دون همز .

ويرى صاحب معجم الألفاظ والأعلام القرآنية : أنها من أصل مصرى قديم ثم انتقلت إلى العبرانية ومنها إلى العربية ص ٥٦٠ .

ويرى ابن عاشور صاحب تفسير التحرير والتنوير (١٨م) - عن اللفظ إنه : نبطى - أو حورانى - أو عبرانى - ص ٢١٥ .

ويرى المراغى : أنها من أصل حورانى - ص ١٢٨ .

ونجد في قول ابن عباس والحسن عن "هيت لك" : كلمة بالسريانية تدعوه لنفسها ، وقول السدى : معناها بالقبطية : هلم إلى ، ولأبى عبيدة : هى لغة لأهل حوران وقعت إلى أهل الحجاز معناها : تعال ، وقول مجاهد وغيره : هى لغة عربية تدعوه بها إلى نفسها ، وهى كلمة حث وإقبال ، ومن المعلوم أن أخذ اللغة

كان معتمدا على مقدار قربها من مكة وما حولها ، ومقدار توغلها في البداوة ، لذا اعتز اللغويون بلغة القبائل الحجازية ، بوجه عام ، ونجد ووسط الجزيرة [١٩] .

والواقع - كما يذكر علماء المصريات - أنه لابد من تحديد صفة (القبطية) ، فعندما دخلت المسيحية مصر في القرن الثالث الميلادى في نهاية العصر الرومانى ، كان لابد من اختراع كتابة تصلح لترجمة نصوص الكتاب المقدس بدلا من اللغة والكتابة اليونانية القديمة التى استخدمها اليونان والرومان في تلك الفترة . ومن هنا ظهر الخط القبطى أو الكتابة القبطية ، تلك التى لم تكن لغة جديدة وإنما هى "خط قبطى" للغة المصرية القديمة في تطور جديد للكتابة بعد الخط : الهيروغليفى ، والهيراطيقى ، واليوطيقى ، وغنى عن البيان القول إن القبطية تعنى وتطلق على المصريين قاطنى مصر ، وهذا هو سر ذهاب بعض المفسرين إلى قولهم "لغة قبطية" ناسين أصلها المصرى القديم . ويؤيد أهل اللغة المصرية القديمة الأصل المصرى القديم لهذه الكلمة ، فهى في معجم بدوى : خت = خات ، وتقرأ في القبطية : هت أوهيت ، وتنطق : ختى أو حتى أو هيتى ص ١٩٠ ، ومعناها : جسد ، أو كيان ، أو قوام ، أو هيئة ، أو ذات الإنسان وشخصيته كله ، أى بشحمه ولحمه ، وبالنظر إلى قراءات القراء هذا اللفظ سنجدها : هَيْتَ - هِيت - هِئْتُ - بالهمزة - تهيأت - بالهمز . كما ذكر ابن هشام الأنصارى [٢٠] ، أليس في هذا ما يؤكد استعصامه وهربه ومقاومته بما يمنع تفسير الهم الجسدى الجنسي الذى ورد في تفسير المفسرين فيما سنتناول بعد قليل ؟

"وأما قوله تعالى فيمن قرأ بهاء مفتوحة وياء ساكنة وتاء مفتوحة أو مكسورة أو مضمومة (هيت لك قراءة ابن مسعود ، وقرأها أبو إسحق بكسر التاء ، وقرأها السلمى وابن كثير بضم التاء) ، فهيت : اسم فعل ، ثم قيل : مسماه فعل ماض أى تهيأت ، فاللام متعلقة به كما تتعلق بمسماه لو صرح به ، وقيل : مسماه فعل أمر بمعنى : أقبل أو تعال ، فاللام للتبيين ، أى إرادتى لك أو أقول لك ، وأما من قرأ "هئت" مثل جئت (وهى قراءة على وابن عباس ومجاهد وعكرمة) فهو فعل بمعنى تهيأت ، واللام متعلقة به ، وأما من قرأ كذلك ولكن جعل التاء ضمير المخاطب

فاللام للتبيين مثلها مع اسم الفعل ، ومعنى تهيئها : تيسر انفرادها به ، بدليل: وراودته" فلا وجه لإنكار الفارسي هذه القراءة مع ثبوتها (قراءة) واتجاهها (عربية) ، ويحتمل ، لأنها أصل قراءة هشام "هيت" بكسر الهاء وبالياء ، وبفتح التاء ، وتكون على إبدال الهمزة" .

ويشير لسان العرب إلى قراءة الفراء : هيت لك بسكون الياء وفتح التاء ، وقال الفراء : من قرأ بفتح فسكون ففتح فهى بمعنى هلم وقراءة أهل المدينة : هيت لك بكسر الهاء وفتح التاء ، ولا يهمزون ، كما يشير إلى قراءة على وابن عباس بالهمز وضم التاء ، ويذكر اللغات فيها وهى أربع :

بفتح الهاء والتاء ، أو كسر الهاء وفتح التاء ، أو فتح الهاء وضم التاء ، أو بكسر الهاء وضم التاء ، وفيما يتصل بهمز الكلمة (هئت) يقول إبراهيم أنيس في فصل بعنوان "هل اللغة العربية لغة بدوية" : "وهكذا نرى أن اللغة التى نزل بها القرآن الكريم والتى اصطنعت في تراث العرب الأدبى قبل الإسلام كانت تؤثر تسهيل الهمز ، وهو صيغة حضرية ، وأن اللغويين بعد الإسلام قد فرضوا عليها تحقيق الهمز مؤثرين هذا الأداء البدوى ، فشاع بيننا الآن أن تحقق الهمز هو الأصح " (١٩) ، ويرى رمضان السيد ، الذى نرجع إليه في كل ما يتصل باللغة المصرية القديمة (ص٢٦ و ٢٧ و ٢٨) أن قراءة هيت" - بفتح الهاء وسكون الياء وكسر التاء أقوى ، "الآن هذه القراءة تتفق اتفاقا كليا مع نطق اللفظ بالمصرية القديمة : هيتى ، ففيها إظهار للضمير المتصل للمتكلم في حالة الملكية "ى" الذى عبر عنه في الآية الكريمة بالكسرة في نهاية حرف التاء ، وقد قرأ بعض القراء .. هذه القراءة : "هيت - بفتح الهاء وسكون الياء وكسر التاء (٢٠) ونستطيع أن نضيف ما نفهمه من كلام إبراهيم أنيس حول إيثار العرب قبل الإسلام تسهيل الهمز ، وهو قول لغوى يدعم الاتجاه إلى أن الكلمة - في أصلها - غير مهموزة ، وشاع ورودها في القراءة غير مهموزة أكثر مما شاعت مهموزة (٢١ و ٢٢) .

من ناحية ، هناك كلمات عديدة دخلت العربية من لغات قديمة أخرى ، أو اشتركت معها في أصولها ومعانيها ، أو تشابهت تلك الكلمات فيما بينها على أقل تقدير ، برغم الحيطة في هذا الأمر ونبذ المبالغات فيه ، مع التسليم باحتفاظ العربية بأعرق خصائص السامية الأم ، ولا ضرورة ولا سبيل إلى حصر هذه الكلمات كاملة هنا ، لكننا نكتفي بالإشارة إلى بعضها ، مثل :

القميص تتفق مع الكلمة الإغريقية "كميسون" ، والكميت ، التي لا شك في عربيتها ، في صيغتها المصغرة ، تشبه لفظة "كميت" بكسر الكاف والميم في المصرية القديمة بمعنى الأرض السوداء ، وكانت تطلق على مصر نفسها تمييزا لتربتها الداكنة عن الصحراء الصفراء المحيطة بها ، وكلمة غنم للقطيع من الضأن ، نجدها عند المصريين القدماء اسما لإله رأسه رأس كبش واسمه "خنوم" (٢٣) ، والبطريق بلغة أهل الشام والروم ، وقيل إنها عربي وافق العجمي ، وهي - أيضا - لغة أهل الحجاز ، والبرطلة : المظلة الصيفية نبطية استعملت في لفظ العربية (٢٤) .

أما الجزء الثاني - ونعود في الكلام في المصرية القديمة لرمضان السيد - من اللفظ ، فهو من أصل مصري قديم أيضا ، ويتكون من حرف الجر في المصرية "ن" بمعنى ل أو أجل" ، وهو حرف علة يسبق الضمير المتصل للشخص المخاطب المفرد الذي كان يكتب بالمصرية "ك" كما سيصبح بعد ذلك في العربية" مع اختلاف شكل الحرف في اللغتين "أي أن اللفظ المصري القديم هو ، ن + ك ، وترجمته بالعربية "لك" . يخلص رمضان السيد إلى أن "هيت لك" من أصل مصري قديم عاش في اللهجة القبطية ثم انتقل بعدها إلى العربية وكان يكتب "هيتا + لج" ودخلت العربية دون أن تفقد مضمونها القديم ، ثم يذكر المعنى الحرفي لهيت لك : جسد - ي - ل - ك .

والمعنى الكنائي : كيان - ي - ل - ك . ذات - ي - ل - ك .

والمعنى المبالغ فيه : كل - ي - ل - ك والمعنى المجازي : أنا ملكك - أنا - لك .

والتوكيد : إنى لك • ويكون المعنى العام : تدعوه لنفسها في دعوة تعتمد على التورية والتستر ، ذلك أن امرأة العزيز كانت على قدر من الثقافة ، ومهما كانت درجة شبقها فإنها لا يمكن أن تلجأ للكلام المباشر الفجّ ، الداعى للمضاجعة وفعل الفحشاء ، وتلك بلاغة قرآنية أيضا ، وجاء رد يوسف السريع : "معاذ الله" ولا شك أن الجسم هو موضع النوازع والغرائز وهدفها ، لذا لم يرد - في هذا المقام - لفظ آخر صريح لمعنى في الفحشاء أو الجماع أو الزنا والشهوة ، فاكتملت المعاني المادية والمعنوية مع توافر الاحتشام المناسب ، ولم تلجأ المرأة لألفاظ الجماع والتمتع الجنسى والخطيئة المعروفة في المصرية القديمة • انتهى كلام رمضان السيد ، ونوافقه عليه ، وهناك تعبير "هيت" ، بتشديد الياء ، فيه معنى البعد يذكره ابن خلدون ، لعله يفيد بعد المسافة بينها وبين يوسف بسبب نفوره منها [٢٥] .

وربما جاز لى أن ألجأ إلى المعنى الذى أشار إليه صاحب (النوادر في اللغة) ، حيث ذكر أن "هيت به تهييتا" : ناداه من بعيد (انظر هامش رقم ٢٠) ألا يعنى هذا أن يوسف بعد عنها ونأى ونفر منها وأبى ؟

ثم نضرب لذلك مثلا بتعبير آخر هو :

"هَمتْ به وهمّ بها" من قوله تعالى :

(ولقد همتْ به وهمّ بها لو لا أن رأى برهان ربه كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين) الآية ٢٤ ، حيث لعب الخيال كل ملعب ، وخلق ذلك الخيال لدى المتخيلين أفعالا وحركات وأوضاعا ومشاهد جنسية دقيقة حدثت من الطرفين ، لا يقطع بحدوثها إلا من شاهدها أو رجع إلى من شاهدها !! حيث يتكرر لدى كثير من المفسرين معنى : الهم الفعلى ، وأنّ هم يوسف - كما روى وفسر القرطبى - مج٤ ، وسائر المفسرين ، أو معظمهم ، مع تسليمه بالاختلاف : "اختلف العلماء في همه" - كان هم معصية ، وأنه جلس منها مجلس الرجل من امرأته ، حتى قال ابن عباس : "حل الهيمان وجلس منها مجلس الخاتن ، وعنه : استلقت على قفاها ، وقعد بين رجليها ينزع ثيابه" ، وقال سعيد بن جبير :

"أطلق تكة سرواله" ·· إلخ ما ذهبت إليه تفاصيل القول مما نحجم عن الاسترسال فيه ، وهو تفسير لا يقتصر على رؤية القرطبى أو ابن عباس فحسب · بل يكاد يشمل المفسرين جميعا · الأمر الذى أدى - كما يذكر القرطبى - إلى اختلاف العلماء في : "همه" ، فاضطر كثير منهم - احتراما للعصمة - إلى التأويل اللغوى المتكلف فقال أبو عبيدة : "هذا على التقديم والتأخير ، كأنه أراد ولقد همت به ولولا أن رأى برهان ربه لهم بها" ·

وقال أحمد بن يحيى : "أى همت زليخا بالمعصية ، وكانت مصرة ، وهمّ يوسف ، ولم يواقع ما هم به ، فبين الهمّتين فرق" ، كما ذهب البعض إلى أنه "هم" بالخاطر فقط ، وذلك مما يثير الجدل حول العصمة ، وهو جدل اتسع مداه لدى المفسرين ·

أما الطبرى فيختلف عن غيره بإضافة هى : "وهم بها أن يضربها أو ينالها بمكروه لهمها بما أرادته من المكروه ، لو لا أن يوسف رأى برهان ربه وكفه عن ذلك مما هم به همًّا ذهنيا" ، واتفق مع ما أوردناه عن القرطبى في قوله : حل الهيمان ، وجلس منها مجلس الخاتن ، وجلس بين رجليها ، وحل السراويل حتى إليتيه ، واستلقت له ، وجلس منها مجلس الرجل من المرأة ، وقعد بين رجليها ونزع ثيابه ، وأطلق تكة سرواله ·· إلخ ·

وبمتابعة موقف سائر المفسرين من تأييد الهم الحسى ، نلخص الموقف ، حيث يتفق مع المفسرين السابقين مفسرون آخرون أمثال :

الزمخشرى - ص ٣١١-٣١٢ ، والرازى - ص ١١٧ ، وأبو السعود ص ٢٦ ، والألوسى - ص ٢١٣ ، وابن عاشور ص ٢٥٢ ، والجلالين ص ٣١٢ ·

وربما نجد لدى بعضهم إضافة جمل شارحة أخرى مثل : قعد بين شعبها الأربع وهى مستلقية على قفاها ، أما من ينص على نفى الهم الحسى عن يوسف فمنهم :

أبو حيان الذى يقول : "إن يوسف ﷺ لم يقع هم منه ألبتة بلهو ، فهو منفى لوجود رؤية البرهان" ص ٢٩٣ ، والمراغى الذى يقول : "هم بها لدفع حبالها عنه وقهرها بالبعد عما أرادته" - ص ١٨٢ .

ومنهم من نص على اختلاف العلماء بين الهم الفعلى ، والهم بالأذى والضرب ، كالقرطبى - كما قدمنا - وكابن كثير ، الذى يذكر خطرات حديث النفس ، حكاها البغوى عن بعض أهل التحقيق ، مستشهدا بحديث "إذا هم أحدكم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة ، فإن عملها كتبت له عشرا. ومن هم بسيئة .. إلخ" ، ويضيف ابن كثير : همّ بضربها[٢٦] .

ولو رجعنا إلى المعنى الوارد في اللغة المصرية القديمة ، لوجدنا "الهم" ، من يوسف ، بمعنى الإيذاء ، وإلحاق الضرر بها ، وليس الهم الحسى الذى يتعارض مع عصمة الأنبياء ، وهذا يغنينا عن كثير من ضروب التأويل والتكلف التى لجأ إليها كثير من المفسرين بدافع النية الحسنة والقصد القويم ، وفي ذلك ما يؤكد ضرورة الاستعانة بمعاجم اللغة المصرية القديمة فيما استعمل من ألفاظها أو تشابه في سورة يوسف ، فيما يلى ، حيث نفاجأ باتجاه المعنى اتجاها صريحا يغاير ما شاع وذاع لدى كثير من المفسرين ، والاستناد إلى المعنى الموجود في اللغة المصرية القديمة يكشف عوار الاستناد إلى الإسرائيليات ، وهنا نجد من المهم الرجوع إلى ما تتضمنه معاجم اللغة المصرية التى أشرنا إليها في صدر حديثنا ، والتى نعتمد عليها اعتمادا كاملا . بل ننقل عنها ، اطمئنانا إلى تخصصها .

يذكر رمضان السيد نقلا وتلخيصا عن معجم بدوى :

همْ - بفتح الهاء وسكون الميم : فعل بمعنى : ضر ، آذى ، أساء إلى ، جار على (ص١٤٧) ، وهو المعنى الذى يستريح إليه المؤلف ونوافقه عليه أنها صممت على أن تبطش به ، ، إذ عصى أمرها وخالف مرادها ، وهى سيدته ، وهو في حكم عبدها ، ولهذا شرعت في إلحاق الضرر به وإيذائه والإساءة إليه والجور عليه ، واستعد هو - من ناحية أخرى - لدفعها وقهرها ، ومن المهم التذكير أن بعض هذه الدلالات وردت عند كل من : الطبرى وأبى حيان ، وأمثالهما من

القدماء ، والمراغي ، وأمثاله من المحدثين ، الذى علل لرأيه - بحق - بالاستناد إلى عصمة الأنبياء في قوله تعالى : "ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ، "٣٢ يوسف ، وأن ما وقع فيه أنصار الرأى القائل بالهم الحسى ، أنه من "زنادقة اليهود والإسرائيليات ليلبسوا على المسلمين دينهم ، ويشوهوا به تفسير كلام ربهم" (٢٧) ، يقوّى ذلك الآيات الكريمة :

"قال معاذ الله إنه ربى أحسن مثواى" ٢٣ و"كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء " إنه من عبادنا المخلصين" ٢٤ ، "واستبقا الباب وقدت قميصه من دبر" ٢٥ ، "لقد راودته عن نفسه فاستعصم" ٣٢ ، "قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين" ٥١ · وهى آيات تتعارض بقوة مع مبدأ التسليم بالهم الحسى الجنسى والقصد إليه سرا أو علنا أو بأى صورة من الصور ، وهو ما يؤكد ما يطمح إليه نهجنا ، وهو الرجوع إلى أصل الكلمة المنقولة من المصرية القديمة إلى العربية ، واستبعاد التفسير القائم على الاجتهاد فيما لم يره الإنسان رأى العين ، كما أن ذلك يغنينا عن الوقوع في براثن الإسرائيليات (٢٨) .

كما أن ذلك أكثر إقناعا من تأويل يسوقونه - على نحو ما صنع أبو السعود - من "أنه لم يقصدها اختيارا ، ··· في صحبة همها بطريق المشاكلة ، لا لشبهة به كما قيل" ، وأكثر سهولة من موافقته على تقديم جواب الشرط جريا على قاعدة الكوفيين في جواز التقديم (٢٩) .

وميلنا للمعنى الوارد في اللغة المصرية القديمة - فوق ما تقدم - يدعمه ما استشعره كثير من علماء المسلمين من قلق ونفور إزاء التمادى في المتخيل من الأفعال المنسوبة إلى يوسف مما أشرنا إليه فيما سبق · بل تماديهم في تحديد البرهان ، واختلافهم فيه بين : رؤية أبيه مرة أو مرتين ، ورؤية الملك ، وتردده بين الاستجابة لنصحهما أو التمادى في الإقبال ، ونسوق لذلك بعض مواقف المنصفين من العلماء فقد قال أبو الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش الأوسط في (معانى القرآن) متحدثا عن "وهم بها" : " فلم يكن هم بالفاحشة ، ولكن دون ذلك

مما لا يقطع الولاية" ، وقال الزمخشرى : "فأخزى الله أولئك في إيرادهم ما يؤدى إلى أن يكون إنزال الله السورة في القرآن العربى المبين ليقتدى بنبى من أنبياء الله في القعود بين شعب الزانية ، وفي حل تكته للوقوع عليها ، وفي أن ينهاه ربه ثلاث كرات ، ويصاح به من عنده ثلاث صيحات بقوارع القرآن وبالتوبيخ العظيم وبالوعيد الشديد وبالتشبيه بالطائر الذى سقط ريشه حين سفد غير أنثاه ، وهو جاثم في مربضه لا يتحلحل ولا ينتهي ولا ينتبه حتى تداركه جبريل ..". وذهب إلى مثل ذلك ، باقتدار ، أبو الحسن على بن أحمد السبتى الأموى المعروف بابن حمير في كتابه (تنزيه الأنبياء عما نسب إليهم حثالة الأغبياء) في فصل (شرح قصة يوسف) [٣٠] الذى يرى – بحق – أن يوسف – عليه السلام – كان نبيا قبل المراودة والهم ، والدليل على ذلك أنه لو لم تثبت نبوته قبل ذلك لم تهتم الأمة بذكر همه ، لأن العصمة المجمع عليها لا تشترط للنبى إلا بعد ثبوت نبوته لا قبلها ، ومع ذلك فإن النبى لا تثبت له معصية مشروع تركها قبل النبوة ولا بعدها ، ويستدل بإثبات نبوته ، قبل همه ، من الكتاب : "ولما بلغ أشده آتيناه حكما وعلما" – ٢٢ يوسف ، وقد أجمع العلماء على أن هذا (الحكم والعلم) في حقه هما النبوة ، وقد وردت آية المراودة بعد ذكر الحكم والعلم ، والهم في اللسان : الإرادة لا غير . في اللسان : "الهم ما هم به في نفسه ، وهم بالشئ نواه وأراده وعزم عليه ". فالهم هو الخاطر الأول فإذا تمادى سمى إرادة وعزما ، فإن لم يعترضه نقيض سمى نية فإن سمى الفعل هما فمجاز من باب تسمية الشيء باسم الشيء ، إذا قارنه أو كان منه بسبب ، فلما كانت الأفعال مرتبطة بالإرادة التى هى الهم سميت هما .. فالهم الحقيقى هو الإرادة لا الفعل" ، مشيرا إلى حديث الهم بالحسنة أو السيئة : "من هم بحسنة فلم يفعلها كتبت له حسنة ، فإن عملها كتبت له عشرا ، ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب شيئا ، فإن عملها كتبت سيئة واحدة" – (في حديث الإسراء والمعراج ، صحيح مسلم/١/١٤١) وبقول الشاعر ضابئ بن الحارث البرجمى (والبيت في الكامل في الأدب ص ٤٩٦ ، ٥٠٣) :

هممت ولم أفعل وكدت وليتنى　　　تركت على عثمان تبكى حلائله

حيث أخبر أنه هم ولم يفعل ، ويضيف : "فما بال الجهلة المقلدين المجازفين في الحقائق يقولون : قعد منها مقعد الرجل من المرأة ، وحل عقد نطاقها وهو ينظر إلى أبيه تارة وإلى الملك أخرى ثم يعود لحل العقد "مستنكرا - بحق - جواز أو إمكان حدوث هذا من شخص يرى أباه والملك ويصر على أن يصنع ذلك ، مقررا أن هذا التفسير اجتراء وافتراء على أنبياء الله تعالى حيث جعلوا الخاطر الأول فعلا وصنعا • وكما ذكرنا من قبل شاعت تلك الأقاويل في التفاسير ، بين سرد أو تلخيص ، ورد أو اعتراض ، وقد حاكم هذه الأقوال كثير من المفسرين ، وردوها بجملة من وجوه الاعتراض ، ولعل أبا الحسن أوفاهم قولا ، وأطولهم باعا ، حيث أنهى حديثه بتلخيص الآراء في :

الإجماع على عصمة بواطن الأنبياء من كل خاطر وقع فيه النهي ، ومنهم من قال بالتقديم والتأخير : ولولا أن رأى برهان ربه لهم بها ، ويكون البرهان هنا النبوة والعصمة ، ومنهم من قال هم بحكم البشرية مع الغفلة عن ارتكاب النهي ، ثم ذكر الله برهانا فانصرف ، لهذا قال بعض العلماء : "هم وما تم ، لأن العناية من ثم" • ومنهم من قال : كاد لولا العصمة ، فالهم مجاز ، ومنهم من قال همّ همّ الفحولية ، وتركها من أجل الله فلا ذنب ولا عتب • بل يكون مأجورا " فهذه أقوال تشاكه الصواب وتليق بالأكابر ، والأظهر القول الأخير" ، أما من يشير إلى آية" وما أبرئ نفسي " فالواقع يقتضي أن هذا قول المرأة لا قوله" •

ومن النظرة العامة إلى بعض مفردات سورة يوسف نجد أن منها كلمات تتفق عليها التفسيرات المصرية القديمة والعربية ، وأخرى لا تتفق اللغات في تفسيرها • من ذلك : كلمة "غيابة" :

في التفاسير العربية : قعر الجب ، ومنهبط الأرض ، ومظلم البئر ، والظلمة ، وفي معاجم اللغة المصرية القديمة : خابت بكسر التاء : انحناءة ، وانعطاف ، وثنية •

الذئب : تطلق على الحيوان المعروف في كلتا اللغتين •

لامرأته : تتفق اللغتان في معناها •

وهكذا نمضى مع كلمات :

قدّت - قميصه - نسوة - المدينة - أهلك - ربه - سمان - الملأ - حصحص - أمين - يشاء - نمير - موثقهم - آوى - السقاية _ أذّن - صواع - بعير - زعيم - نجياً - أبرح - سولت - يا أسفى - حرضا - بثىّ - مسّنا - تثريب - بصير - خرّوا ، اتفقت اللغتان في معانى هذه المفردات •

بينما اختلفت اللغتان في معانى بعض ما أشرنا إليه سابقا ، وفي المفردات الآتية :

الجب : حيث ذهب الطبرى إلى أنها : البئر ، ص ٥٦٥ ، وكذلك الجلالين ص ٣١٠ والأصفهانى إلى أنها : البئر لم تطو لأنه جبّ أى : قطع ص ٨٢ ، والوسيط : نقرة في الجبل يجتمع فيها الماء •

أما في المصرية القديمة فـ : جبو : سيل - فيض - فيضان ، وهنا نجد اختلافا واضحا في المعنى • وبذلك نجد أن من الأهمية بمكان مراعاة الروابط اللغوية القديمة بين اللغة العربية وما عاصرها من لغات تأثيرا وتأثرا ، آخذين في يقيننا ، ومتفقين مع ما ذكره السيوطى في (المزهر) (٣١) عن العلماء : "إن النحارير ربما أدخلوا على الناس ما ليس من كلام العرب إرادة اللبس والتعنيت" ، ص ١٧١ ، ومتفقين مع ما ذكره - أيضا - عن الجمهور : "ليس في كتاب الله سبحانه شئ بغير لغة العرب ، لقوله تعالى : "إنا جعلناه قرآنا عربيا" ، وقوله تعالى : "بلسان عربى مبين" ، وادعى ناس أن في القرآن ما ليس بلغة العرب ، حتى ذكروا لغة الروم والقبط والنبط ، قال أبو عبيدة : ومن زعم ذلك فقد أكبر القول ، قالوا قد يوافق اللفظ اللفظ ويقاربه ومعناه واحد ، وأحدهما بالعربية ، والآخر بالفارسية ، أو غيرها ، وذكر أمثلة ، ثم أورد كلام الإمام فخر الدين الرازى وأتباعه : ما وقع في القرآن من نحو المشكاة •• إلخ ، لا نسلم أنها غير عربية ، بل غايته أن وضع العرب فيها يوافق لغة أخرى •• فإن اللغات فيها متفقة" • ونستعين بالسيوطى فيما يختصره : قال أبو حيان في (الارتشاف) : الأسماء العجمية على

ثلاثة أقسـام : قسم غَيرتْه العرب وألحقته بكلامها ، فحكـم أبنيتـه فـي إعتبـار الأصلى ٠٠ حكم أبنية الأسماء العربية ٠

وقسم غيّرته ولم تلحقه بأبنية كلامها فلا يعتبر فيه ما يعتبر في القسم الـذى قبله ٠٠ وقسم تركوه غير مغير فما لم يلحقوه بها عد منها(٣٢) ٠

هكذا يطمئن الباحث إلى هذه الخاتمة أساسا لغويا فيما نتجه إليه فـي تفسـير بعض آيات من سورة يوسف ، وما يمكن أن يتبع في تفسير آيات أخر في سـور عديدة من كتاب الله العزيز ، ومن فوائد هذا المنهج أنه يسقط التـأويل المفـرط ، وبخاصة التأويل الإسرائيلى النابع من الإسرائيليات ، كما يحـول دون المبالغـات ويضئ كثيرا من جوانب الطريق ٠

* *

الهوامش

(١)استوحيت بحثي ، في أساسه ، من القرآن الكريم في سورة يوسف ٠ وقد وردت قصة يوسف في التوراة في الإصحاح ٣٧ ثم من ٣٩ إلى ٥٠ من سفر التكوين ٠

كما رجعت إلى تفاسير : الطبرى (ت ٣١٠) تحقيق محمود شاكر ، القاهرة ، والأصفهانى (٥٠٣) معجم مفردات ألفاظ القرآن ، تحقيق نديم مرعشلى ، بيروت ١٩٧٢ ، والزمخشرى (٥٣٨) ، الكشاف ، الحلبى ، والرازى (٦٠٦) ، التفسير الكبير ، المسمى مفاتيح الغيب ، طهران ، وأبو حيان (٧٥٤) ، البحر المحيط ، الرياض ، ومختصر تفسير ابن كثير (٧٧٤) دار القرآن الكريم ، بيروت ١٩٨١ ، ص ٢٣٩ وما بعدها ، وأبى السعود (٩٥١) ، تفسير أبى السعود ، دار المصحف ، القاهرة ، ج٣ ص ٢٤ ، و٢٦٥ ، والألوسى (١٢٧٠) ، روح المعانى في تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى ٠

ومن المعاجم : لسان العرب لابن منظور ، دار المعارف ، القاهرة ، د٠ت ٠ ج٦ ص ٤٧٣١ ، ومعجم الألفاظ والأعلام القرآنية ، محمد إسماعيل إبراهيم ، القاهرة ، ١٩٦٨ ، ومعجم ألفاظ القرآن الكريم ، مجمع اللغة العربية القاهرة ، ج٢ ، ١٩٩٠ ، هيت به وهم بها ٠

ومن كتب اللغة : النوادر في اللغة ، لأبى زيد الأنصارى ، تحقيق ، محمد عبد القادر أحمد ، دار الشروق ط١ ، ٢٩٨١ ، ص ٢٣٢ ، ومغنى اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام الأنصارى ، تحقيق مازن المبارك ، وزميله ، دار الفكر ، ط٥ ، بيروت ، ١٩٧٩ ، ص ٢٩٣ ، والمزهر في علوم اللغة للسيوطى ، تحقيق محمد أحمد جاد المولى ، وزميله ، ج١ ، الحلبى ٠

(٢)مجلة عالم الفكر ، المجلد الثانى ، العدد ٣ ، الكويت ١٩٧٢ ، ص ١٦ –١٨٠ ٠

(٣)دار المعارف ، القاهرة ١٩٨٤ ٠

(٤)لدراسة المكان في القرآن الكريم أهمية كبرى ، وقد نال المكان اهتمام الدارسين والمؤرخين والجغرافيين ، فقد درس الجغرافى الأمريكى "يومان" بحثا عنوانه (العالم الإسلامى) متناولا قضايا المكان ، وعرض عبد الوهاب النجار للمكان في قصص متفرقة دون تركيز على العلاقات ، قصص الأنبياء ، القاهرة ١٩٥٦ ، ولم يلتفت إلى المكان محمد أحمد جاد المولى وآخرون (قصص القرآن ، القاهرة ، ١٩٣٧ ، وأنكر – مبالغا جانحا – محمد أحمد خلف الله في (الفن القصصى في القرآن الكريم) أى وجود للاهتمام بالمكان في القرآن (ص٩ ، وص٦٠ ، القاهرة ، ١٩٥٠/١٩٥١) مستندا – دون حق – إلى إشارة لمحمد رشيد رضا عن

عدم قصد القرآن التاريخ ، مع أن محمد رشيد رضا أشار للجوانب التاريخية في سورة هود ، وقصص كثير من الأنبياء : موسى ، وهود ، وصالح ، تفسير المنار ، ٢٧٩/١ ، القاهرة ١٣٦٧ من الهجرة ، واهتم السيد مظفر الدين الندوى بالمعالم الجغرافية والتاريخية معتمدا على ما كتبه سليمان الندوى في كتابه (أرض القرآن) - انظر الندوى : التاريخ الجغرافى للقرآن ، مقدمة ، ترجمة عبد الشافى غنيم ، القاهرة ١٩٥٦) ، كما اهتمت بالمكان كتب التاريخ التراثية العربية ، ومؤلفون فرنسيون ، ولعل أوفى هذه البحوث وأشملها البحث الشائق الذي كتبه عبد العزيز كامل بعنوان (المكان في القصة القرآنية) ، محاضرة ألقاها في قاعة الإمام محمد عبده بالأزهر ، ونشرت في كتاب عن تلك المحاضرات ، كما نشره كاملا عبد الحافظ عبد ربه في كتابه (بحوث في قصص القرآن) ص٢٦ ، دار الكتاب اللبنانى ، بيروت .

(٥)ترجمة محمد يوسف نجم ، القاهرة د.ب ، ص ١٢، وص ١٥ .

(٦)محمد أحمد خلف الله ، الفن القصصى في القرآن الكريم ، القاهرة ١٩٥٣ ، ص ٢٢ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٤٥ ، ١٧٤ ، ١٧٧ ، ١٨٢ .

(٧)انظر ترجمة الآباء اليسوعيين "العهد القديم" مج١ ، سفر التكوين ، ط٢ ، مطبعة اليسوعيين، بيروت ١٨٨٢ .

(٨)الظاهرة القرآنية ، بيروت ، ١٩٦١ ص ٢٥١ .

(٩)من روائع القرآن ، دمشق ، ١٩٧٢ ، ص ٢٢١ .

(١٠) انظر ، لتفصيل الرد : محمد بيومى مهران ، دراسات تاريخية من القرآن الكريم ، ص ٤٧ ، وما بعدها ، ومقارنة بين القصص القرآنى وروايات التوراة ص ٥٥ وما بعدها .

(١١) ص ٧١-٨٨ .

(١٢) الكتاب المقدس /٤٥١ ، بيروت ١٠٤ ، والفكر الدينى الإسرائيلى ، حسن ظاظا ، القاهرة ، ١٩٧١ ، ص ٢٤٨ ، و٢٤٩ ، والمدخل إلى الكتاب المقدس ، حبيب سعيد ، القاهرة ، ص ٦٧ ، و٦٨ ، والتوراة الهيروغليفية ، فؤاد حسنين ، القاهرة ، ١٩٦٨ ، ص ١٤ ، و١٥ .

(١٣) هرمن كيس : المعجم الصغير في مفردات اللغة المصرية القديمة ، ط١ ، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ، القاهرة ، ١٩٥٨ في ٢٩٩ ص .

(١٤) الشرق الأدنى القديم ، ج١ ، مصر والعراق ، الأنجلو ، ط٣ ، القاهرة ١٩٩٢ .

(١٥) مجلة كلية اللغة العربية ، العدد السادس ، الرياض ١٩٧٦ ، وغير ذلك من مراجع متخصصة .

(١٦) ١٩٩٤ ص ٦١ .

(١٧) ترجمة عبد الصبور شاهين ، بيروت ١٩٦١ ، ص ٢٥١ ٠

(١٨) محمد بيومى مهران ، دراسات تاريخية عن القرآن الكريم ج١ في بلاد العرب ، الرياض ، ض٩٨٠ ، ص ٧١ ، وما بعدها ، مقارنا بين القصة في القرآن ، وفي كتابه (إسرائيل) ، القاهرة ، ١٩٧٣ ، ص ٤٥-٤٨ ٠

(١٨م) ج ١٢ ، الدار التونسية ، تونس ، ١٩٨٤ ٠

(١٩) إبراهيم أنيس ، في اللهجات العربية ، ط٤ ، الأنجلو ١٩٧٣ ، ص ٥١ ٠

(٢٠) مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب ، ص ٢٩٣ ، وذكر الأنصارى في النوادر في اللغة : هيّت به تهييتا إذا ناداه من مكان بعيد ، دار الشروق ، ١٩٨١ ، ص ٢٢٣ ٠

(٢١) في اللهجات العربية ، ص ٢٢٦ ٠ وانظر في القراءات : السبعة في القراءات ، ابن مجاهد ، ت٣٢٤ ، تح ، شوقى ضيف ، مصر ، ١٩٧٢ ، وغاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزرى ت ٨٣٣ ، نشر برجستراسر ، بيروت ١٩٨٠ ، والنشر في القراءات العشر لابن الجزرى ، تح ، على الضباع ، دار الفكر للطباعة والنشر ٠

(٢٢) أبو الفضل الألوسى : روح المعانى في تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى ج١١ ، نشر السيد الألوسى ، دار إحياء التراث ، بيروت ص ٢١٢) ٠

(٢٣) كلام العرب ، حسن ظاظا ، دار النهضة العربية ، ١٠٧٦ ص ٥٩ ، وما بعدها ٠

(٢٤) إبراهيم أنيس : في اللهجات ص ٢٠٦ ، ٣٠٠ ، وانظر : المعرب من الكلام الأعجمى، أبو منصور الجواليقى ، والمزهر للسيوطى ، الحلبى ، د٠ت ، وغرائب اللغة العربية ، رفائيل نخلة اليسوعى والألفاظ السريانية في المعاجم العربية ، البطريرك اليعقوبى إغناطيوس أفرام برصوم ، والكلمات الدخيلة الآرامية في العربية ، فرانكل - بالألمانية ، والألفاظ الفارسية المعربة للمطران دى شى ، والعربية الفصحى ، نحو بناء لغوى جديد للأب هنرى فليش اليسوعى ، تعريب وتحقيق لعبد الصبور شاهين ، الكاثوليكية ، بيروت ، ١٩٦٦ ٠

(٢٥) في معجم مقيدات ابن خلدون ، تح ، عبد السلام هارون ، ط١ ، ١٩٨٧ ، الخانجي : هيت بكسر الهاء وسكون الياء : مدينة على الفرات فوق الأنبار ، من أعمال العراق ، ص ٣٤٣ ، وهو بعيد عن مجالنا ٠

(٢٦) ج٢ ص ٢٤٦ ٠

(٢٧) أحمد المراغى ، تفسير المراغى ، ج١٢ ، دار إحياء التراث العربى ، ط٢ ، بيروت ، ١٩٨٥ ، ص ١٣٣ ٠

(٢٨) من أشهر كتب التفسير التى رددت الإسرائيليات : تفسير مقاتل بن سليمان (ت١٥٠ من الهجرة) ، والطبرى (٢٢٤-٣١٠) ، والثعلبى (٤٢٧) ، والخازن (٧٤١) ، وممن تحرجوا

عن المضى مع الإسرائيليات : ابن كثير (٧٠٠-٧٧٤) ، والألوسى (١٢١٧-١٢٧٠) ، ومحمد رشيد رضا (١٢٧٢-١٣٥٤) ، انظر : البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن ، كمال الدين أبو المكارم ، تح ، خديجة الحديثى ، وأحمد مطلوب ، بغداد ، العانى ، ١٩٧٤ ، وتأويل مشكل القرآن ، ابن قتيبة ، تح ، السيد صقر ، ط٢ ، القاهرة ، دار التراث ، ١٩٧٣ ، والبرهان في وجوه البيان ، لابن وهب ، تح ، أحمد مطلوب ، وخديجة الحديثى ، بغداد ، ١٠٦٧ ، ومجاز القرآن ، لأبى عبيدة معمر بن المثنى ، تح ، محمد فؤاد سركين ، الخانجى ، القاهرة ، ١٩٥٤ ، والإتقان في علوم القرآن ، للسيوطى ، الحلبى ، ١٩٧٨ ، والإسرائيليات في التفسير والحديث ، محمد الذهبى ، القاهرة ، ١٩٧١ ص (١٦١-٢٤٩) وانظر أسباب النزول للنيسابورى ، والأداء التعبيرى في القرآن ، محمد قطب ، والتعبير الفنى في القرآن ، بكرى شيخ أمين ، وقصص الأنبياء والرسل كما جاءت في القرآن ، محمد إسماعيل إبراهيم ، والتاريخ الإسلامى العام ، على إبراهيم حسن ، النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٧١ ، والصورة الأدبية في القرآن الكريم ، صلاح الدين عبد التواب ، لونجمان، ١٩٩٥ .

(٢٩) تفسير أبى السعود ص ٢٦٦ .

(٣٠) معانى القرآن للأخفش الأوسط ، تحقيق هدى قراعة ، ج١ ، الخانجى ، ص ٣٩٣ ، والكشاف للزمخشرى ج٢ ، ص ٢٤٩ ، و٢٥٠ ، وتنزيه الأنبياء ، لابن حنبل ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، ودمشق ، ط ١٩٩٥ ، تح ، محمد رضوان الداية ، ص ٤٤-٤٩ .

(٣١) الصفحات : ٢٦٨ ، وما بعدها ، وانظر أمثلة عديدة منها الألفاظ المعربة بالصفحات نفسها ، وما بعدها من صفحات .

(٣٢) انظر قصة يوسف عليه السلام في : تنزيه الأنبياء للشريف المرتضى : ٤٦ ، وعرائس المجالس : ١١٨ ، وابن كثير : ٣١٧ ، وتاريخ الطبرى ٣٣٧/١ ، وغيرها .

* * *